
بعض القصص لا تنتهي...
— بل تترك في القلب أثرا لا يُشفى. —
أحببتك
حتى
انتهيتَ.
مَا لا يُشفى
منه القلبَ
كنتُ
أختارك
في كل مرة،
وأنت اخترت
أن لا تبقى.
لم تكن
نهايتي...
لكنّكَ كنتَ
أعمق جرح
فيها.
رواية
بقلم
بيلسان الخنيسة



القلب ما لا يُشفى منه

إسم الكتاب: ما لا يشفى منه القلب

الكاتبة: بيلسان الخنيسة

عدد الصفحات: ٥٢

تدقيق: أ. نجاح عيتاني

تنسيق داخلي وتصميم: أ. نجاح عيتاني / NAI

الطبعة الأولى

٢٠٢٦



المقدّمة

بعض القصص لا تبدأ بحبٍّ واضح، ولا تنتهي بكرهٍ صريح.

بعضها يولد من الكراهية، يكبر في الصمت، ينهار في الغيرة، ثم يترك في القلب أثرًا لا يُشبه أيَّ نهاية.

لم يكن ما بيني وبين أدرين قصة حبٍّ عادية.

لم يكن هادئًا بما يكفي ليُنسى، ولا جميلًا بما يكفي ليُروى بسهولة.

كان شيئًا أقرب إلى الاختبار، اختبارًا لقلبٍ أحبَّ ببراءة، وقلبٍ أحبَّ بطريقةٍ لا تعرف الرحمة.

وفي منتصف كل ذلك، بين الاعتراف والخذلان، بين القرب والبرد، بين «أحبك» و«انتهى»، ضعتُ أنا.

ظننتُ أن الحب، حين يكون صادقًا، سيحمي صاحبه من الانكسار، لكنني تعلّمتُ متأخرةً أن بعض الصدق...

هو أكثر ما يؤلم.

هذه ليست قصة حب جميلة.

وليست قصة نهاية سعيدة.

هذه قصة ما يبقى بعد الحب، ما لا يُقال، وما لا يُشفى منه القلب... حتى لو ادّعى العكس.


بدأ الأمر بالكراهية... وانتهى بشيءٍ يشبه السقوط.

لم يكن أدرين الرجل الذي يمكن أن تحبَّه فتاةٌ مثلي.
على الأقل... هذا ما ظننته في البداية.
كان ثقيلًا على القلب منذ اللحظة الأولى، من ذلك النوع الذي لا تحتاج أن تعرفه كي تشعر بالنفور منه.
بارد، حاد، قليل الكلام، وفي عينيه شيءٌ مستفز...
شيءٌ يشبه الغرور، ويشبه رجلًا اعتاد أن يمرَّ دون أن يشرح نفسه لأحد.
كرهته قبل أن أعرفه.
كرهت صوته الجامد، وطريقته المختصرة، ونظراته التي كانت تمرُّ على الناس وكأنها لا تتوقف عند أحد.
كان يملك حضورًا يزعجني، وهيبةً لم أطلبها منه... لكنها كانت تسبقه، وذلك النوع من الهدوء الذي لا يطمئن، كأن كل شيءٍ فيه يقول:
«أنا لا أُشبهكم».
ولم يكن يشبه أحدًا فعلًا.
ولولا أمرٌ يخص أخي، لما اضطررت يومًا أن أفتح معه حديثًا.
كان حديثًا عابرًا، باردًا، وبلا أي رغبةٍ حقيقيةٍ مني.
كنت أكلمه لأنني مضطرة، وأنتظر أن ينتهي الأمر فقط.

لكنه لم ينتهِ.

لأن أدرين، وبطريقةٍ لم أفهمها في البداية، بقي.

صار هو من يبدأ الحديث، هو من يسأل، هو من يفتح أبواب الكلام كل مرة، وكأن شيئًا في داخله قرر أن يبقى... رغم أنني لم أطلب منه ذلك.

وفي البداية، كنت أجيبه ببرودٍ يشبهه.

أردُّ، ثم أبتعد.

أتكلم، ثم أندم.

أقنع نفسي أنني لا أطيقه...

لكنني، في كل مرة، كنت أنتظر رسالته التالية.

وما أخافني حقًّا أنني لم أنتبه إلى اللحظة التي توقفت فيها عن كرهه.

فجأة، صار وجوده مألوفًا.

وصوته الذي أثقلني أول مرة، صار شيئًا أبحث عنه دون أن أعترف.

ثم بدأت أراه فعلًا.

ليس كما بدا في البداية...

بل كما كان.

رأيت الرجل الذي لا يرفع صوته كثيرًا، لكن الجميع يسمعه.

رأيت القوة في طريقته، في حضوره، في حسمه، في تلك الرجولة الثقيلة التي لا تحتاج استعراضًا لتُثبت نفسها.

كان قويًّا... بشكلٍ لافت، ليس القوة التي تُخيف، بل القوة التي تجعلك تشعر أن لا شيء سيصيبك وهو موجود.

وكان هذا أكثر ما هزَّني فيه.

شعرت بالأمان معه...

وأنا التي لم أكن أثق بسهولة.

كان يملك طريقةً غريبةً في حمايتي.

لا يقول كلامًا كثيرًا، لكنه كان يلاحظ كل شيء.

ينتبه لتفاصيل لا أنتبه لها، يغضب إن ضايقني شيء، ويظهر في اللحظة التي أحتاجه فيها، وكأنه كان يراقب المسافة بيني وبين الأذى.

وأنا...

أحببت ذلك أكثر مما يجب.

أحببت شعوري معه.

أحببت أنني أهدأ حين يتكلم.

أحببت طريقته حين يطمئنني دون أن يقول: «لا تخافي».

أحببت إحساسي أن هناك أحدًا...

يمكن الاتكاء عليه.

ثم بدأت ألاحظ ما لم يكن يجب أن ألاحظه.

ضحكته.

ويا ليتني لم أفعل.

لأن أدرين لم يكن يضحك كثيرًا، لكن حين كان يفعل...

كان يبدو أقل قسوة، أقل بعدًا، وأقرب مما ينبغي.

كانت ضحكته تُربكني، تُسقط ذلك الجدار الذي بناه حول نفسه، وتكشف لي رجلًا آخر...

رجلًا خفيفًا، دافئًا، جميلًا بطريقةٍ خطيرة.

وكان جميلًا فعلًا، ليس الجمال الذي يُلفت النظر أولًا، بل ذلك النوع الذي يتسلل ببطء...

ثم يستقر في قلبك دون أن يخرج.

أحببت عينيه أكثر من اللازم، تلك النظرة الثقيلة التي كانت تُربكني، والطريقة التي كانت تلين بها حين يراني.

أحببت ملامحه حين يبتسم، هدوءه، وصوته حين يهبط، ونبرته حين يناديني وكأن اسمي يعني شيئًا.

وأخطر ما في الأمر...
أنه كان يحبني أيضًا.
لم يقله بسرعة، ولم يكن رجلًا يعرف كيف يتكلم كثيرًا، لكنني كنت أراه، كنت أراه في اهتمامه، في غيرته، في صمته الذي يطول حين أغضب، في طريقته وهو يراقبني وكأنه يخشى عليَّ من العالم...
وأحيانًا من نفسي.
كان يحبني بطريقته القاسية، وأحببته بطريقتي الكاملة.
وحين كنا نلتقي، لم تكن عيوننا تنظر فقط، كانت تضحك.
كأن بيننا حديثًا لا يسمعه أحد، كأن شيئًا فينا كان يتعرف على الآخر دون كلام، وكأن العالم، للحظاتٍ قصيرة، كان يهدأ حين نلتقي.
وكنت أظن أن من يجعل عينيك تضحكان هكذا، لا يمكن أن يكون وجعك يومًا.


كيف للغريب أن يصبح...
عادة؟!

لم يحدث الأمر دفعةً واحدة، ولم أسقط في أدرين كما تسقط الفتيات في القصص الساذجة.

لم أحبه فجأة، ولم أستيقظ ذات صباحٍ وأنا أدرك أنني وقعت.

بل حدث الأمر ببطءٍ مربك، بهدوءٍ خطير، وبتفاصيل صغيرة لم أنتبه لها، إلا بعدما صار وجوده جزءًا من يومي.

في البداية، كان مجرد شخصٍ أتحدث إليه بحكم العادة، حديثٌ يبدأ بلا أهمية، وينتهي دون أثرٍ واضح، ثم، دون أن أشعر، صار حديثه الشيء الذي يمرّ في يومي ويترك أثره كله.

صار أدرين يتسلل إلى يومي، كما تتسلل الأشياء التي لا ننتبه إلى أهميتها، إلا حين تغيب.

رسالةٌ منه في الصباح، فتتغيّر نبرة يومي، كلمةٌ عابرة منه، فتبقى عالقة في رأسي لساعات، غيابه لوقتٍ أطول من المعتاد، فيترك فراغًا لا أفهم سببه، وحضوره كان كافيًا ليعيد كل شيء إلى مكانه.

لم أفهم متى حدث ذلك، متى صار أول شخص أبحث عنه حين أمسك هاتفي، ومتى صار اسمه أول ما أنتبه إليه، ومتى أصبح مزاجي يتبدّل، فقط لأن صوته بدا مختلفًا في ذلك اليوم.

لكنه حدث.

وصار أدرين، بهدوءٍ لا يلفت النظر، جزءًا ثابتًا من فوضاي اليومية.

كنت أحفظه دون أن أقصد، أحفظ صمته حين يكون غاضبًا، واختصار كلماته حين ينزعج، وهدوءه الزائد حين يُخفي شيئًا، وطريقته في تغيير الموضوع، كلما اقترب الحديث من شيءٍ يخصه.

حفظت نبرة صوته، وأدركت متى يكون متعبًا، حتى لو قال إنه بخير.

وحفظت تلك المسافة الغريبة فيه، ذلك القرب الذي يمنحك إياه، ثم يتراجع قبل أن تعتاد عليه.

لكنه، رغم كل شيء، كان يقترب بطريقته الخاصة، الباردة، المربكة، لكن الواضحة بما يكفي لأشعر.

صار ألطف معي من البقية، أهدأ، أخفّ، كأن شيئًا فيه يلين كلما وصل إليّ.

لم يكن يقول كلامًا كثيرًا، لكنني كنت أراه في التفاصيل.

في طريقته وهو يسأل إن وصلت، في انزعاجه إن تأخرت، في صمته الذي يسبق غضبه حين أختفي، في طريقته حين يلاحظ تعبي، قبل أن أذكره.

كان يراقبني أكثر مما يعترف، ويهتم أكثر مما يُظهر، ويغضب أكثر مما يحقّ له.

وأنا... كنت ألاحظ ذلك كله.

ألاحظ كيف تختلف نبرته معي، كيف يردّ عليّ أسرع من الجميع، كيف يبدو أقل قسوة حين يكلمني، وكيف يصبح صوته، لسببٍ لا أفهمه، أكثر دفئًا حين يناديني باسمي.

وكان هذا كافيًا ليُربكني، لأنني لم أعد أعرف إن كان ما بيننا مجرد اعتياد...

أم شيئًا ينمو بهدوءٍ أخطر من أن يُسمّى.

كنت أقول لنفسي:

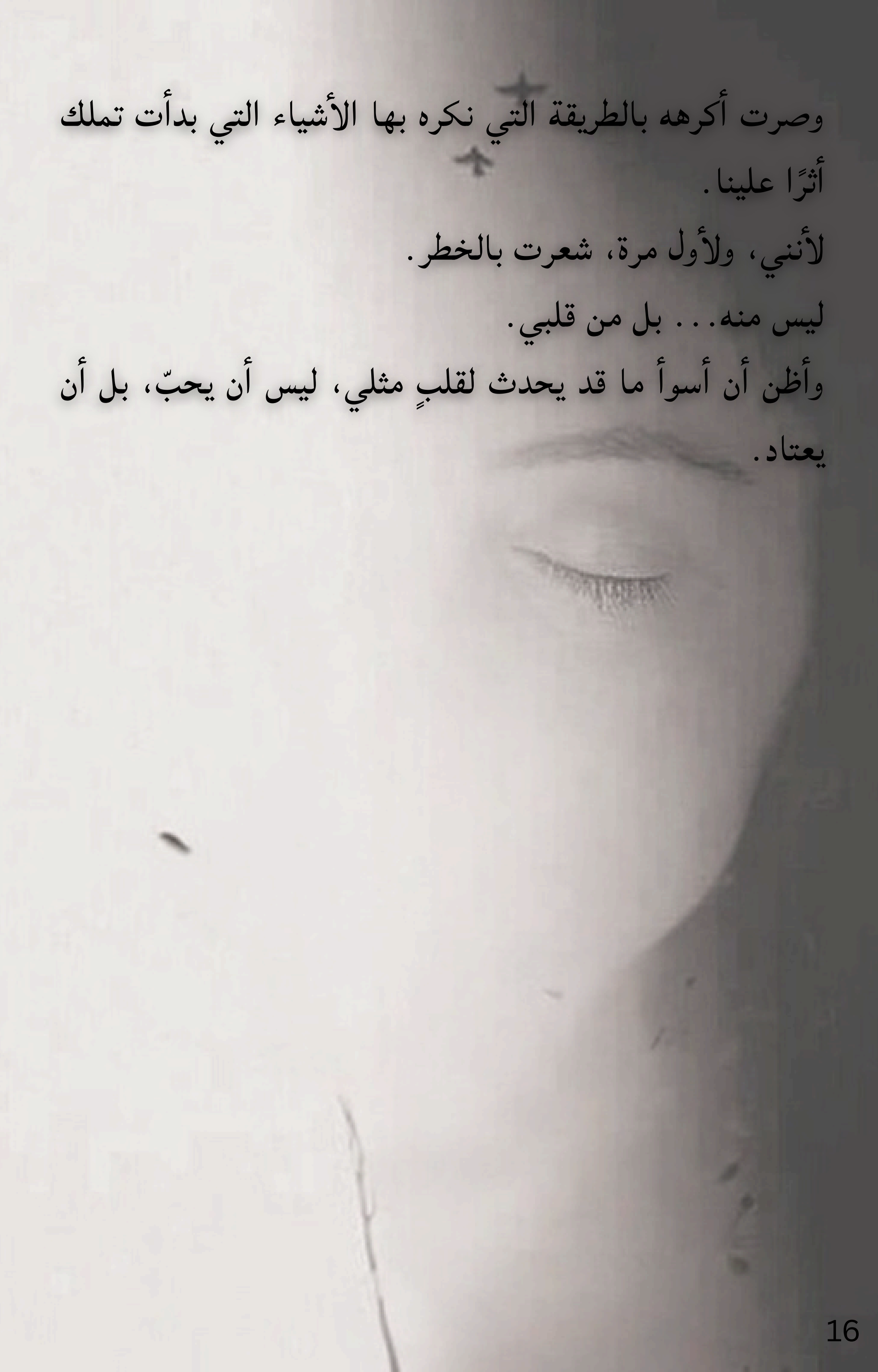
«إنه فقط شخصٌ ارتحت له».

لكنني كنت أكذب، لأن الراحة لا تجعلنا ننتظر، والاعتياد لا يجعل الغياب ثقيلًا.

والأشخاص العابرون لا يملكون هذه القدرة الغريبة على إفساد يومٍ كامل، لمجرد أنهم بدوا بعيدين.

شيئًا فشيئًا، لم يعد أدرين مجرد شخصٍ في يومي، صار تفصيلًا فيه.

جزءًا من مزاجي، من انتظاري، من هدوئي، ومن قلقي أيضًا.

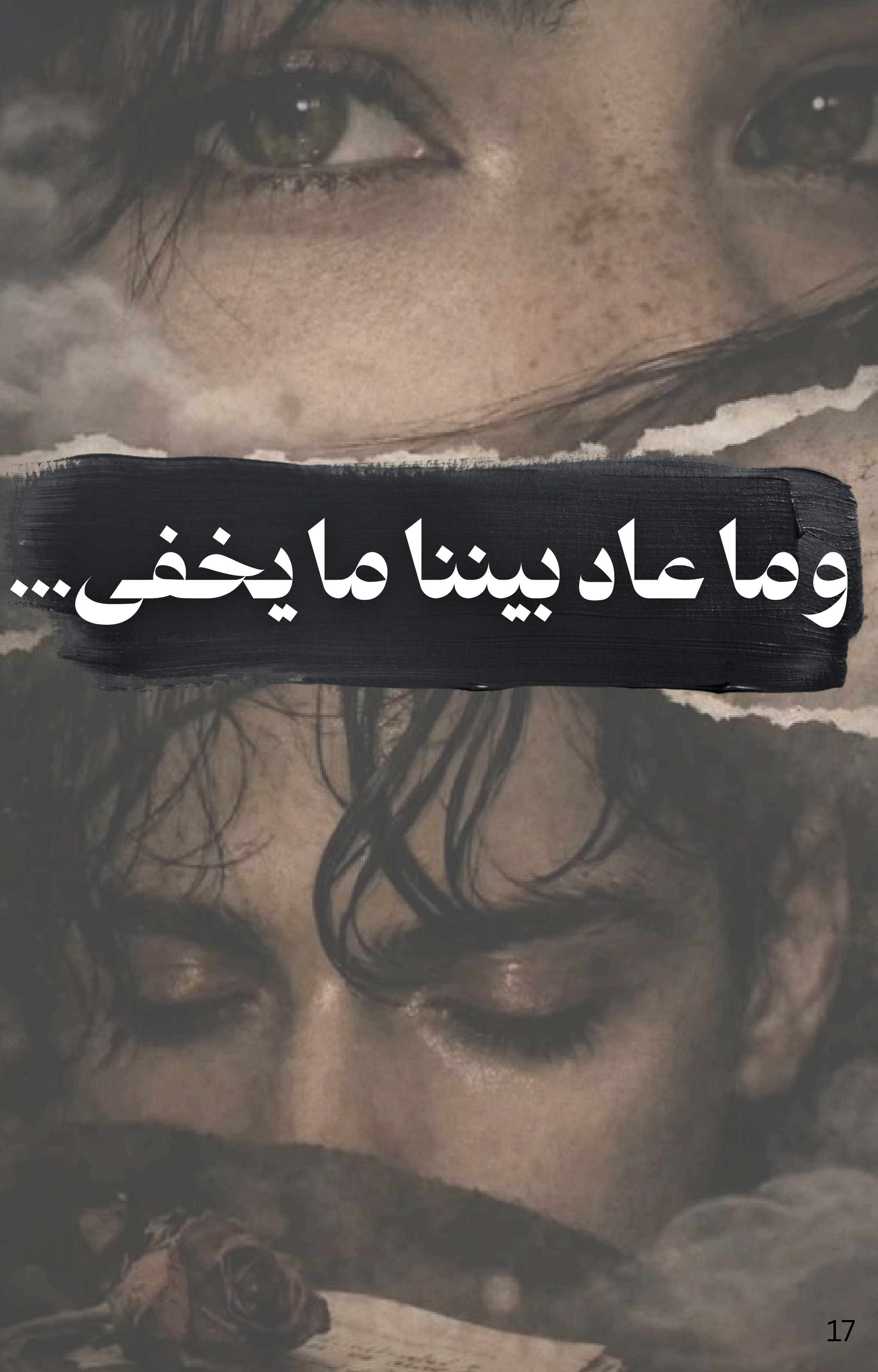


وصرت أكرهه بالطريقة التي نكره بها الأشياء التي بدأت تملك أثرًا علينا.

لأنني، ولأول مرة، شعرت بالخطر.

ليس منه... بل من قلبي.

وأظن أن أسوأ ما قد يحدث لقلبٍ مثلي، ليس أن يحبّ، بل أن يعتاد.


وما عاد بيننا ما يخفى...

لم يكن بيني وبين أدرين شيءٌ واضح، لكن الغيرة كانت أوضح من أي اعتراف. كانت تظهر في أبسط التفاصيل، في نبرة صوته حين يضيق، وفي طريقته حين يسأل أكثر مما ينبغي، وفي ذلك الانزعاج الخفي الذي كان يحاول أن يخفيه دائمًا... ويفشل.

وكنت أغار عليه بالطريقة نفسها، لكنني كنت أكثر اندفاعًا، أقل قدرةً على التخفّي، وأكثر ضعفًا أمام شعورٍ لم أكن قد اعترفت به بعد.

كنّا نختبئ خلف المزاح كثيرًا، لأن المزاح كان الطريقة الوحيدة التي تسمح لنا بأن نقول ما لا نجرؤ على قوله صراحةً.

وفي الخامس من تشرين الثاني، بدأ كل شيءٍ وكأنه حديثٌ عابر، ثم انتهى كشيءٍ لم يعد من الممكن تجاهله.

قلت له يومها، وفي صوتي من الغيرة أكثر مما في كلماتي:

— أنت حقير.

سألني بهدوءٍ يعرف أكثر مما يُظهر:

— ولماذا؟

قلت، وأنا أختبئ خلف المزاح كعادتي:

— ألستُ صديقتك؟ أليس من المفترض أن تجد لي عريسًا مناسبًا؟

كنت أقولها مازحة، أو هذا ما حاولت أن أقنع نفسي به.

لكنه لم يردّ كما توقعت. أرسل لي صورته هو، ثم قال:

— ما رأيك بهذا الشاب؟ أليس مناسبًا؟

توقفتُ لحظة. نظرت إلى صورته طويلًا، وأدركت أن قلبي لم يفهم الأمر على أنه مزاح. لم يكن يمزح فقط، كان يختبر شيئًا، وأنا أيضًا.

وحين أرسل صورته، لم يكن كمن يعرض رجلًا لامرأة، بل كمن يسألها بصمت: أما زلتِ لا ترينني؟

ارتبكت، لا من صورته، بل من الفكرة نفسها. من الطريقة التي انقبض بها قلبي، ومن شعوري المفاجئ أنني لا أريد رجلًا آخر، ولا صورةً أخرى، ولا احتمالًا لا يشبهه.

وفي تلك اللحظة، فهمت شيئًا أخافني.

م أكن أغار عليه فقط.

كنت أريده.

ثم جاء الثامن من تشرين الثاني، وجاء معه ذلك الاعتراف الذي لم يشبه الاعتراف، لكنه قال كل شيء.

كنت قد اقتربت من عالمه أكثر مما ينبغي. صرت أعرف تفاصيل بيته، وأسماء من يحب، وأحاديث عائلته الصغيرة التي لم يعد يخفيها عني.

إخوته أحبّوني، وأمه صارت تعرفني، وحتى والده لم يعد غريبًا عن أحاديثنا. وكنت، دون أن أشعر، أدخل حياته من الأماكن التي لا يدخلها الغرباء.

قلت له يومها وأنا أضحك:

— عائلتك تحبني كثيرًا، وقد تحدثت اليوم مع والدتك ووالدك أيضًا. إيّاك أن تُغضبني، لقد أصبحتُ واحدةً من العائلة.

قلتها مازحة، لكن قلبي كان ينتظر ردّه، كما لو أن شيئًا كبيرًا سيتحدد بعده.

صمت أدرين لحظة، وكان صمته أطول من أن يكون عابرًا.

ثم قال، بهدوءٍ لم أستطع تجاوزه:

— أنا منذ وقتٍ طويل أعتبرك من عائلتي.

ولم تكن جملةً عادية.

لأن أدرين لم يكن رجلًا يقول الأشياء الكبيرة بسهولة، ولم يكن يمنح أحدًا مكانًا في حياته إلا إذا أصبح يعني له شيئًا حقيقيًا.

ولم يكن قوله: «أعتبرك من عائلتي» يعني الألفة وحدها.

كان يعني:

أنتِ قريبة.

أنتِ مني.

أنتِ لستِ عابرة.

ولأول مرة، لم أشعر أنني أسمع مزاحًا.

بل شعرت أن أدرين، بطريقته الثقيلة وبأسلوبه الذي لا يشبه الاعترافات الواضحة، كان يقول لي ما لم يعرف كيف يقوله مباشرةً.

ومنذ تلك الليلة، لم تعد الغيرة مجرد مزاح، ولم تعد كلماته تحتمل التأويل.

ومنذ تلك الليلة، لم يعد أدرين مجرد رجلٍ يمرّ في يومي، ولا مجرد عادةٍ جميلة أخشى فقدانها.

بل صار شيئًا أقرب من ذلك كله.

صار الرجل الذي، من بين كل المزاح الذي خبّأنا خلفه مشاعرنا، كان يقترب مني ببطء...

حتى لم يعد بيننا ما يُخفى.




ولأول مرة...

بعد تلك الليلة، لم يعد بيني وبين أدرين ما يمكن أن يعود كما كان.

صار في الكلام شيءٌ أوضح، وفي الصمت شيءٌ يُقال، وفي كل مزحةٍ بيننا حقيقةٌ نحاول تأجيلها فقط.

كنّا نقترب من الاعتراف، كما يقترب شخصان من حافة شيءٍ يعرفان أن بعده لن يعودا كما كانا.

كلانا كان يعلم، وكلانا شعر، لكن أحدًا منّا لم يكن يملك شجاعة أن يضع ذلك الشعور في كلمةٍ صريحة.

حتى جاءت تلك المكالمة.

لا أذكر كيف بدأ الحديث، لكنني أذكر جيدًا كيف انتهى، وكيف أن كل شيءٍ بعده لم يعد يشبه ما قبله.

كنت أتحدث بخفّةٍ مصطنعة، أحاول أن أبدو أقل ارتباكًا مما كنت، وأخفي خوفي خلف المزاح كعادتي.

قلت له، وكأنني أختبره دون أن أعترف:

— أنا أصلًا أقول هذه الكلمة للجميع.

كل من أسأله: «أتحبّني؟» يجيبني بالطبع.

كنت أضحك حين قلتها، لكنني لم أكن أمزح تمامًا.

كنت أبحث في صوته عن شيء، عن نبرةٍ مختلفة، عن جوابٍ لا يشبه الآخرين، عن شيءٍ يشبهه هو.

ساد صمتٌ قصير، ثم تغيّر صوته.

أصبح أكثر هدوءًا، أثقل، وأصدق من كل ما قاله من قبل.

وقال:

— افهمي شيئًا واحدًا يا بيلين...

الشخص الذي تحبّينه يحبّك أيضًا.

سكتُّ.

ليس لأنني لم أفهم، بل لأنني فهمت أكثر مما ينبغي.

أكمل، وصوته في تلك اللحظة لم يكن يشبه أدرين الذي عرفته أول مرة.

لم يكن باردًا، ولا قاسيًا، ولا متحفّظًا كما اعتاد أن يكون.

كان واضحًا على نحوٍ أربكني.

وقال:

— الشعور الذي في قلبك تجاهه...

هو نفسه الشعور الذي في قلبه تجاهك.

ثم صمت لحظة، كأنه يمنحني فرصةً أخيرة لأفهم دون أن يضطر إلى قولها صريحة.

لكن بعض الكلمات لا يكفي أن تُفهم، بل يجب أن تُقال.

ولهذا قالها.

لأول مرة.

بوضوحٍ لم يترك لي مكانًا للشك:

— أنا أُحبك.

قالها كما لو أنه حسم أمرًا ظلّ طويلًا معلّقًا بيننا.

قالها دون تردد، ودون تراجع، ودون ذلك البرود الذي كان يختبئ خلفه دائمًا.

ثم أكمل، وكأنه لا يريد لتلك الكلمة أن تُؤخذ بخفّة:

— وأنا لا أتسلّى بكِ.

أفهمتِ؟

أنا لا أقول هذا عبثًا.

أريدكِ.

وأريدكِ بجدّ.

لا كحديثٍ عابر، ولا كشيءٍ مؤقت.

في تلك اللحظة، لم يخفق قلبي كما يحدث في القصص.

بل حدث ما هو أخطر.

هدأ.

هدأ بطريقةٍ غريبة، كأن شيئًا داخلي، شيئًا ظلّ قلقًا طويلًا، وجد أخيرًا ما كان يبحث عنه.

لأول مرة، لم أشعر بالحيرة.

لم أشعر بالخوف.

لم أشعر أنني أُخمّن ما بيننا.

لأول مرة، كنت أعرف.

أدرين يحبّني.

ليس بطريقتي، ولا بخفّتي، ولا بذلك الوضوح الذي كنت أعرفه في نفسي.

لكنه أحبّني بطريقته هو.

بصوته الذي ندر أن يلين، وبصراحته التي لم يمنحها لأحد، وبتلك الجملة التي لم تكن اعترافًا فقط...

بل وعدًا.

وفي تلك الليلة، لم نعترف بالحبّ فقط.

بل اعترفنا أن ما بيننا لم يعد شيئًا يمكن النجاة منه.



أجمل ما كان بيننا...

بعد تلك المكالمة، لم يتغير شيء بيننا...
لكن كل شيء صار مختلفًا.
لم نحتج إلى أن نعيد تسمية ما بيننا، ولا أن نضع له شكلًا واضحًا.
فبعض العلاقات لا تحتاج اعترافًا جديدًا بعد أن تصبح واضحة في القلب.
منذ تلك الليلة، صار أدرين أقرب.
أقرب بطريقة لا تُقال، لكنها تُشعر.
في صوته، في حضوره، في طريقته معي، وفي التفاصيل الصغيرة التي بدأت تكبر دون أن نشعر.
صار أكثر وضوحًا في اهتمامه، وأكثر صراحةً في غيرته، وأكثر قربًا في كل شيء.
لم يكن رجلًا يعرف كيف يكون لطيفًا بالكلمات، لكنه كان يعرف كيف يجعلني أشعر أنني مهمة.
وكان هذا يكفيني.
صار يسأل عن يومي كما لو أنه يعنيه فعلًا.
يغضب إن أخفيت تعبي، ينتبه إن تغيّر صوتي، ويعرف متى أقول: «أنا بخير» وأنا لست كذلك.

وكان يلاحظني بطريقة لم يفعلها أحد قبله.

يعرف متى أكون صامتة أكثر من اللازم، ومتى أضحك وأنا متعبة، ومتى أختبئ خلف الكلام، ومتى أحتاج أن يسألني مرةً أخرى:

«ما بكِ؟»

وكان يسأل دائمًا بطريقته.

بصوته الهادئ، وبذلك الاهتمام الذي لا يشبه الكلام الجميل، بل يشبه الأمان.

وأنا...

أحببت ذلك أكثر مما يجب.

أحببت أن يبدأ يومي به، وأن أفتّش عن اسمه أولًا، وأن يصبح صوته جزءًا من روتيني، وأن أعرف أن يومي، مهما كان ثقيلًا، سينتهي عنده.

كانت مكالمات الليل أكثر ما يشبهنا.

في الليل، كان أدرين أقل قسوة.

أخفّ.

أهدأ.

وأقرب إلى الرجل الذي لا يراه أحد غيري.

كنّا نتحدث طويلًا، عن أشياء مهمة، وأشياء سخيفة، عن يومي، وعن يومه، وعن طفولتنا، وعن الأشياء التي نحبها، وعن أمور لا معنى لها.

لكنها كانت تعني لي كل شيء.

لأنها كانت معه.

كنّا نضحك كثيرًا.

على أمور لا يفهمها أحد، وعلى كلمات صارت تخصنا، وعلى مزاحٍ بسيط، وعلى ذلك النوع من الأحاديث الذي يبدو عاديًا جدًا من الخارج...

لكنه يصبح عالمًا كاملًا لشخصين فقط.

وكانت ضحكته أجمل ما فيه.

كنت أحبها أكثر مما يجب.

أحب كيف تغيّر ملامحه، وكيف تُسقط عن وجهه ذلك البرود الذي يعرفه الجميع، وكيف تجعل منه رجلًا أخفّ، وأقرب، وأجمل.

وكان جميلًا حين يضحك.

جميلًا بطريقة تؤذي القلب.

وأنا كنت أضعف من أن أنجو من شيء كهذا.

وحين كنا نلتقي، كانت عيوننا تسبق الكلام.
لا أحد كان يلاحظ شيئًا، لكننا كنا نراه.
في النظرة الأولى، في تلك الابتسامة الصغيرة التي لا تأتي إلا حين يرى أحدنا الآخر، وفي الطريقة التي كانت عيوننا تضحك بها قبل أفواهنا.
كان بيننا شيء لا يحتاج كلامًا.
شيء يُفهم وحده، ويظهر وحده، ويجعل العالم، للحظاتٍ قصيرة، أخفّ.

ومع الوقت، صار أدرين أكثر وضوحًا في غيرته.
يغضب من أشياء لا يقول إنها تزعجه، ويصمت حين لا تعجبه نظرة أحد، ويتغير صوته إن ذكر أحد اسمي كثيرًا.
ويحاول أن يبدو هادئًا...
ويفشل.
وكنت أحب غيرته، رغم أنها كانت تُربكني.
لأنها كانت تقول ما لا يقوله، وتكشف ما يحاول دائمًا أن يخفيه.
وكان يحبني بطريقته.

بغيرته، واهتمامه، وخوفه عليّ، وبصوته حين يهدأ معي، وبذلك الحرص الذي كان يجعلني أشعر أنني لست عابرةً في حياته.

ولأول مرة، لم أشعر أنني وحدي.

ولأول مرة، شعرت أن هناك أحدًا يمكنني أن أتكئ عليه دون خوف.

ومع أدرين، ولأول مرة منذ وقتٍ طويل، بدأت أصدق أن الحب قد يكون مكانًا آمنًا.



أول انكسار...

مرّت أشهر على حبّنا.

أشهر كنت أظنّها كافية لأصدق أن ما بيننا صار ثابتًا، وأن أدرين، بكل قسوته، اختارني أخيرًا.

لكنني كنت صغيرة.

أصغر من أن أعرف كيف يُحافَظ على الحب، وأكثر براءةً من أن أفهم أن بعض الأخطاء، حتى لو لم تُقصد، قد تهزّ قلبًا كاملًا.

كنت أخطئ كثيرًا.

بعفوية، بجهل، وبذلك الصدق الذي يجعل الخطأ أثقل لأنه لا يحمل سوءًا، بل قلة وعي.

وفي كل مرة، كنت أعود إليه صادقة.

أعترف، أرتبك، وأنتظر غضبه.

وكان يغضب.

يضيق، ينفعل، ثم يعود ليعلّمني، وينصحني، ويشرح لي ما لم أكن أفهمه.

ولم يكن يتركني.

ولهذا أحببته أكثر.

لأن أدرين، رغم قسوته، كان يشبه الرجل الذي يغضب... لكنه يبقى.

والبقاء، بالنسبة لقلبٍ مثلي، كان شكلًا آخر من أشكال الحب.

حتى جاء الثاني من أبريل.

اليوم الذي لم يحدث فيه شيء كبير، لكن شيئًا بيننا انكسر ولم يعد كما كان.

رآني أدرين يومها أرتدي شيئًا لم يعجبه.

في نظره، لم يكن مجرد لباس، كان شيئًا رآه خيانة.

بينما كنت أراه أنا جهلًا فقط.

لم أجادله، لم أكابر.

اعترفت بخطئي على الفور، وحاولت أن أشرح، أنني لم أقصد، وأنني لم أعرف.

لكنه ابتعد...

واعتذرت كثيرًا، أكثر مما ينبغي، وحاولت أن أصلح ما انكسر.

لكنه قال، ببرودٍ لم أعرف كيف أواجهه:

— سنبقى أصدقاء.

قالها وكأنها جملة عادية.

وكأنها لا تهدم شيئًا كاملًا داخلي.

ثم بقينا نتحدث، نطمئن على بعضنا، ونتظاهر أن شيئًا لم ينكسر.

لكن كل شيء كان قد انكسر.

وفي نهاية كل حديث بيننا، كنت أقول له:

— ايكادولي.

وكأنني، في كل مرة، أحاول أن أذكّر قلبه بما قرر أن يتجاهله.

ثم جاء اليوم الذي فهمت فيه أن ما انكسر لم يكن بسيطًا.

رأيته يومها صدفة، رأيته قبل أن يراني ،وكانت هناك فتيات، ورأيته ينظر.

لم تكن نظرة طويلة، ولا مشهدًا كبيرًا.

لكن القلب حين يكون هشًّا لا يحتاج إلى الكثير كي ينكسر.

ثم رآني.

قال بهدوء:

— كيف حالك؟

أجبته ببرود:

— بخير.

لكنني لم أكن بخير.

كلّمته لاحقًا، وقلت له ما ظلّ يحترق في صدري:

— بهذه السرعة؟ كيف تقول إنك أحببتني، ثم تنظر إلى غيري؟

جاءني ردّه غاضبًا، باردًا، وحادًا على نحوٍ لم أعرفه منه من قبل، قال إنه لم ينظر.

ثم سألني السؤال الذي مزّق كل شيء:

— وبأي صفة تتدخلين في حياتي؟

سكتُّ، ليس لأنني لم أملك جوابًا، بل لأنني امتلكت ألف جواب، ولم أجد واحدًا لا يكسِرني.

قلت له:

— كيف أفهمها؟

فقال، بوضوحٍ أقسى من أي شيء سبق:

— لا يحقّ لكِ أن تتدخلي في حياتي،أنا لست مرتبطًا بكِ حتى تغاري عليّ.

وكانت تلك أقسى جملة قالها لي أدرين، لا لأنها أهانت غيرتي، بل لأنها جرّدت كل ما بيننا من حقّه.

قلت له:

— أكان حبك تسلية؟

قال:

— لا ، لم يكن تسلية، لقد انتهى حديثي، سلام.

«انتهى».

قالها بسهولةٍ أوجعتني أكثر من النهاية نفسها.

وكأن ما عشناه يمكن أن يُغلق بكلمة.

أرسلت له بعدها، وأنا في منتصف انكساري:

— ليس الخطأ خطأك وحدك، الخطأ خطئي أنا...

لأنني أحببتك من قلبي، لكن انتهى، ومن اليوم، لن أغار عليك، تذكّر شيئًا واحدًا فقط:

الغيرة على من نحب... حب.

ردّ عليّ ببرود:

— حسنًا.

وقتها فقط فهمت أن بعض الناس لا يؤلمونك لأنهم لا يحبونك، بل لأنهم لا يعرفون كيف يحبّون دون أن يؤذوا.

قلت له بعدها:

— سأريحك من وجودي، شكرتك لأنك علمتني كثيرًا، ولأنني أحببتك فعلًا، وتمنيت أن أكون معك.

لكنني لا أستطيع أن أبقى في حياةٍ لا يُقدَّر فيها حبي، ولا وجودي، ولا قلبي.

أتمنى أن تجد الفتاة التي تريدها، وأن أصل أنا أيضًا إلى مكانٍ لا يؤذيني.

ردّ عليّ:

— الله معك.

ثم انتهى الحديث، أو هكذا ظننته.

لأن بعض القصص لا تنتهي حين نصمت، بل حين يتوقف شيءٌ في داخلنا عن الانتظار.

وأنا... لم أكن قد شُفيت بعد، لكنني تعبت من النزف.

تركته، أو هكذا أقنعت نفسي.

أغلقت الحديث، أغلقت قلبي، وحاولت أن أمضي.

لكن بعض الأبواب لا تُغلق من المرّة الأولى.

وبعض الناس لا يخرجون من القلب لمجرد أنهم خرجوا من حياتنا.

لهذا لم تكن تلك نهاية ما بيننا.

كانت فقط أول مرة نخسر فيها ما كنّا نظنّه...

لن ينكسر.


بعد الفراق لا يصبح أحد بخير...

بعد أن انتهى كل شيء، اكتشفت أن النهاية لا تأتي مرةً واحدة، بل تأتي على شكل أيام. في كل يومٍ كنت أستيقظ فيه وأتذكر أننا لم نعد كما كنّا، وفي كل مرةٍ أفتح فيها هاتفي ثم أتوقف قبل أن أرسل له شيئًا، وفي كل ليلةٍ كنت أقاوم فيها فكرة أن أسمع صوته مرةً أخيرة.

كنت أحاول أن أبدو بخير. أضحك أمام الجميع، وأتحدث بشكلٍ طبيعي، وأتصرف وكأن قلبي لم يخسر شيئًا. لكن الحقيقة أنني كنت أتعب من التظاهر أكثر من تعبي من الحزن نفسه.

لأن أدرين لم يكن شخصًا عابرًا أستطيع نسيانه بسهولة. كان جزءًا من يومي، ومن أفكاري، ومن تفاصيل صغيرة لم ألاحظ قيمتها إلا بعد غيابه.

حتى الأشياء العادية أصبحت تؤلمني. الأغاني التي كنا نسمعها، والرسائل القديمة، والأوقات التي اعتدت الحديث معه فيها، وحتى اسمه؛ كان كافيًا ليُربك قلبي بالكامل.

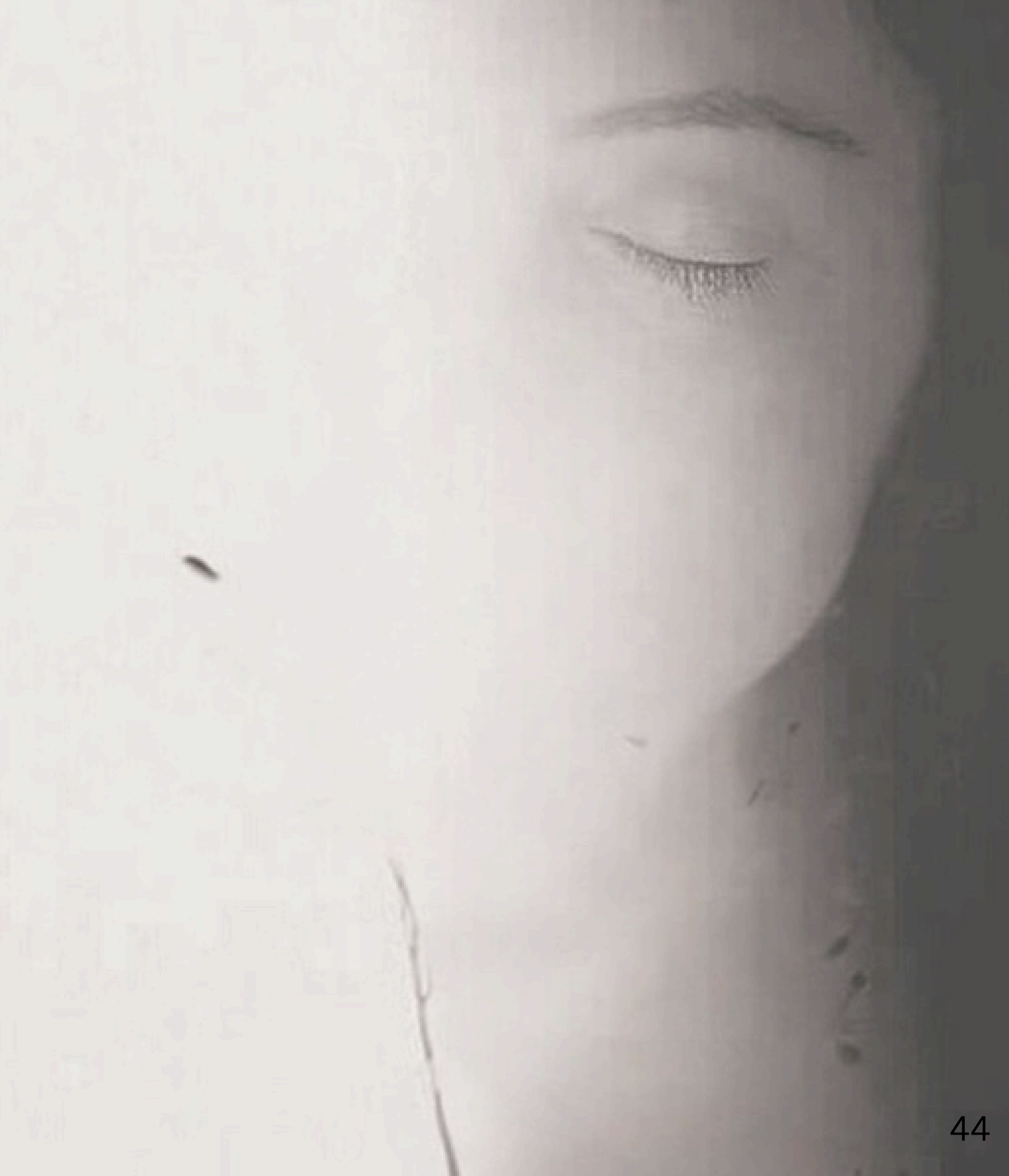
أحيانًا كنت أدخل إلى محادثتنا القديمة، أقرأ كلامنا، ثم أخرج بسرعة وكأنني ارتكبت خطأ. وأحيانًا أخرى، كنت أحدق في صورته طويلًا، وأتساءل كيف يمكن لشخصٍ كان يومًا كل هذا القرب أن يصبح فجأة بهذه المسافة.

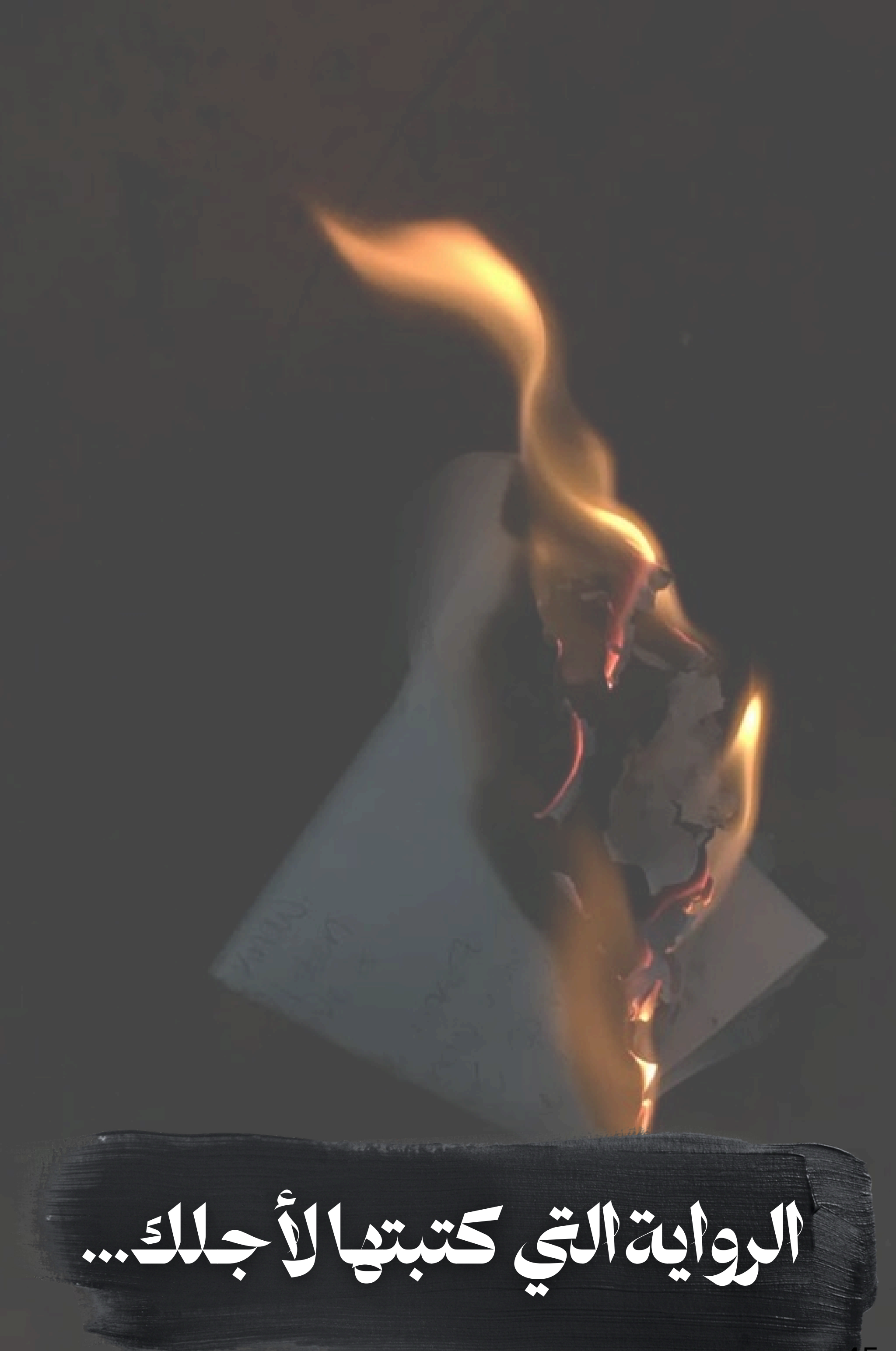
حاولت كثيرًا أن أكرهه. أقنعت نفسي أنه قاسٍ، وأنه أوجعني، وأنه لم يفهمني كما كنت أريده أن يفعل. لكن كل محاولاتي كانت تفشل أمام حقيقةٍ واحدة: أنني أحببته بصدق.

والحب الصادق، للأسف، لا يتحول إلى كره بسهولة. كنت أشتاق إليه بطريقةٍ تُرهق القلب، ليس فقط إليه، بل إلينا نحن.
إلى تلك النسخة مني التي كانت تضحك أكثر، وتنام مطمئنة، وتشعر أن هناك شخصًا في هذا العالم يختارها.

وأكثر ما كان يؤلمني أنني، رغم كل شيء، كنت ما زلت أنتظر منه شيئًا. رسالة، اتصالًا، أي كلمةٍ تشبه: "لا تذهبي."
لكنه لم يقلها.
وأنا أيضًا، كنت متعبة أكثر من أن أطلب البقاء.

مرت الأيام، لكن الفقد لم يصبح أخفّ، بل أصبح أهدأ فقط.
كأن الحزن تعلّم كيف يعيش داخلي دون أن يُحدث ضجيجًا.
وفي بعض الليالي، كنت أسأل نفسي بصمت: هل انتهينا فعلًا؟
أم أن هناك أشياء في هذه الحياة تبقى معلّقة إلى الأبد؟




الرواية التي كتبتها لأجلك...

لم أكتب هذه الرواية لأنني نسيتك، بل لأنني لم أستطع. كتبتها لأن بعض المشاعر لا تموت داخل أصحابها، بل تتحول إلى كلمات. وكنتَ أنت أكثر شعورٍ عجزتُ عن الهروب منه.

ربما لن تقرأ هذه الرواية يومًا، وربما ستقرأها دون أن تعرف أن كل سطرٍ فيها كان يحملك أنت. لكنني، في مكانٍ ما داخلي، كنت أكتبها على أملٍ صغير أن تصل إليك، وأن ترى نفسك بين السطور، وأن تتذكرني، وأن تعرف كم أحببتك بصدق، وكم حاولت أن أبقى رغم كل شيء.

لم أكتب عنك لأنك كنت مثاليًا، بل لأنك كنت حقيقيًا. كنت قاسيًا أحيانًا، باردًا، ومؤذيًا بطريقةٍ لم تكن تقصدها دائمًا. لكنني، رغم ذلك، رأيت فيك شيئًا لم يره أحد. رأيت الرجل الذي كان يخبئ قلبه خلف القسوة، والذي أحبني بطريقته، حتى وإن كانت طريقته تؤلمني أحيانًا.
كتبت عن غيرتك، وعن اهتمامك، وعن صوتك حين يهدأ معي، وعن نظراتك التي كانت تفضحك، وعن تلك الطمأنينة التي كنت أشعر بها كلما شعرت أن العالم ضدي.

وكتبت أيضًا عن كسري معك، وعن الليالي التي بكيتك فيها، وعن الكلمات التي جرحتني، وعن قلبي الذي حاول أن يكرهك وفشل.

لأن الحقيقة الوحيدة التي لم أستطع تغييرها هي أنني أحببتك فعلًا. أحببتك أكثر مما يجب، وأصدق مما ينبغي، وبقلبٍ لم يكن يعرف كيف يحمي نفسه.

وهذه الرواية ليست قصة حب فقط، إنها كل ما لم أستطع قوله لك، وكل ما خنقتُه داخلي، وكل مرة تمنيت فيها أن تفهمني دون أن أشرح.

فإن قرأتها يومًا يا أدرين، فاعرف شيئًا واحدًا فقط:

ما كتبته عنك لم يكن رواية.

كان قلبي.


وربما... لم تنتهِ الحكاية بعد...

مرّ الوقت، لكننا لم نصبح غرباء تمامًا.
ورغم كل ما حدث، ورغم الكلمات التي كسرتنا، لم نستطع أن نحقد على بعضنا.
بقينا نتحدث أحيانًا، نطمئن على بعضنا، نقترب ثم نبتعد، وكأن شيئًا بيننا يرفض أن يموت بالكامل.
كان في كل حديثٍ بيننا أثرٌ لما كنّا عليه، شيء صغير يشبه الحنين، ويشبه قلبين يعرفان بعضهما أكثر مما ينبغي.
لم يعد الحبّ بيننا واضحًا كما كان، لكنه أيضًا لم يختفِ.
وأظن أن بعض العلاقات لا تنتهي فعلًا، بل تتعب فقط.

أما أنا، فما زال داخلي أملٌ صغير، هادئ، خائف، لكنه حيّ...
أملٌ بأن يأتي يوم نعود فيه إلى بعضنا بطريقة أجمل، أن نصبح أنضج، أهدأ، وأقل قدرة على إيذاء بعضنا.
وليتك تعلم يا أدرين كم أدعو الله أن تكون لي، وكم أخبره عنك، وكم تمنّيت في سجودي أن يجمعنا الحلال يومًا، لا كحكايةٍ متعبة، بل كطمأنينة أخيرة.
فليتك تعلم أنني، رغم كل شيء، ما زلت حين أدعو لنفسي أذكرك مع دعائي.

وإن كان من يقرأ هذه الرواية قد أحب يومًا بصدق، فأنا أتمنى له من قلبي ألّا ينتهي به الأمر مع الشخص الذي أحبّه مجرد ذكرى.

أتمنى أن يجمع الله كل قلبين صادقين، وأن يمنحهما فرصةً أجمل من التي ضاعت منّا

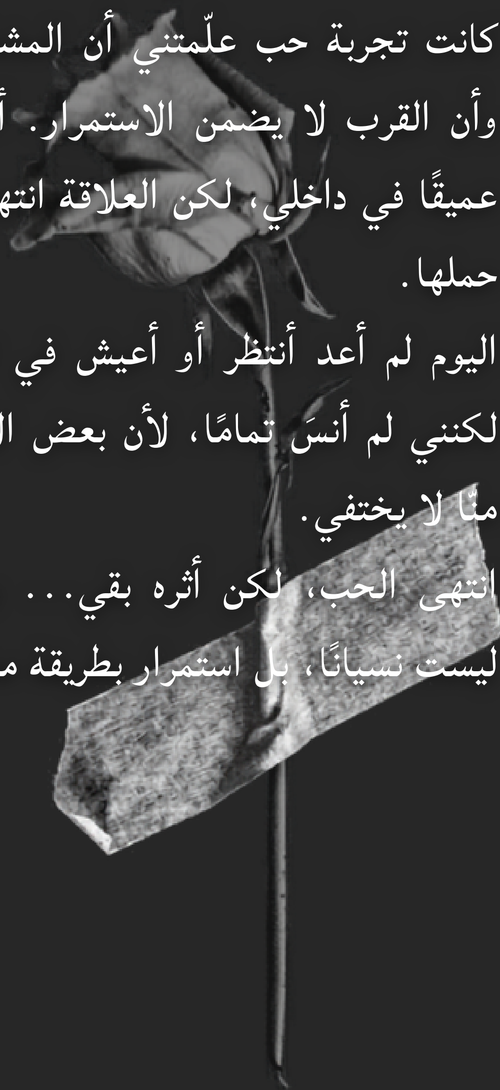
.

أما أنا وأدرين... فربما لم تنتهِ حكايتنا بعد.

وربما في يومٍ ما سأكتب الجزء الثاني من هذه الرواية، لكن في المرة الثانية، أتمنى أن تكون مليئةً بالحب فقط.

الخاتمة

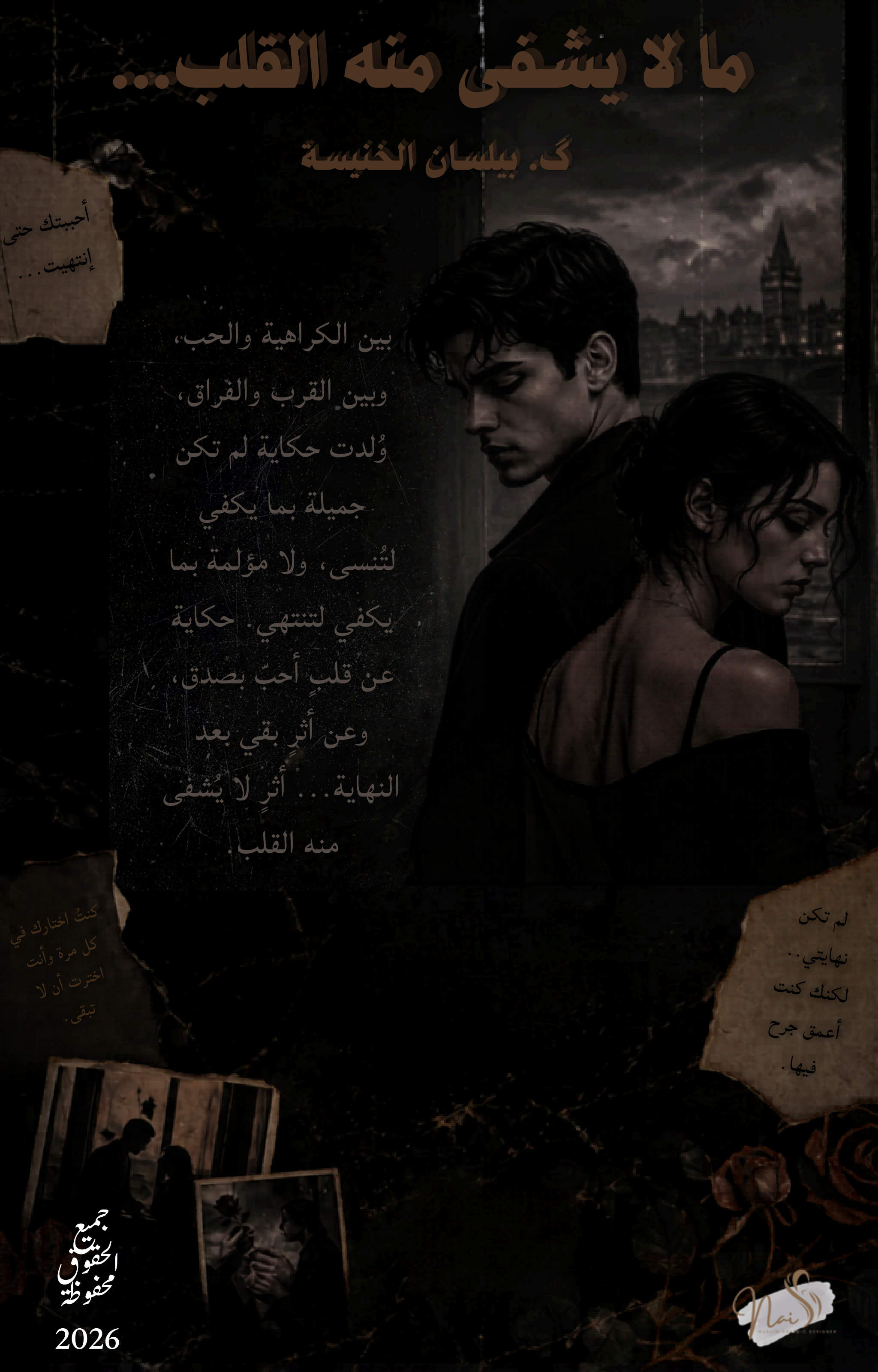




كانت تجربة حب علّمتني أن المشاعر لا تأتي دائمًا بالأمان، وأن القرب لا يضمن الاستمرار. أدرين كان شخصًا ترك أثرًا عميقًا في داخلي، لكن العلاقة انتهت لأننا لم نعد قادرين على حملها.

اليوم لم أعد أنتظر أو أعيش في تفاصيل الغياب كما كنت، لكنني لم أنسَ تمامًا، لأن بعض الأشخاص يتحولون إلى جزء منّا لا يختفي.

انتهى الحب، لكن أثره بقي... وتعلّمت أن بعض النهايات ليست نسيانًا، بل استمرار بطريقة مختلفة.


ما لا يشفى منه القلب...
گ. بيلسان الخنيسة
أحببتك حتى إنتهيت...
بين الكراهية والحب، وبين القرب والفراق، وُلدت حكاية لم تكن جميلة بما يكفي لتُنسى، ولا مؤلمة بما يكفي لتنتهي. حكاية عن قلبٍ أحبّ بصدق، وعن أثرٍ بقي بعد النهاية... أثرٍ لا يُشفى منه القلب.
كنتُ اختارك في كل مرة وأنت اخترت أن لا تبقى.
لم تكن نهايتي.. لكنك كنت أعمق جرح فيها.
جميع الحقوق محفوظة
2026